المفاخرة بين المدن في الأدب الأندلسيّ دراسة موضوعيَّة

*عمّار عبد القادر محمّد شبلي**

ملخص

يتناول هذا البحث مفاخرة المدن في الأدب العربي في الأندلس، وقد نهض بتمهيد وثلاثة محاور وخاتمة، إذ خُصِّص التمهيد للحديث عن فخر الشعراء بمزايا مدنهم بعامَّة، وعن أبرز المعالم الحضاريّة فيها بخاصَّة، بينما المحور الأول تحدث عن وصفٍ مختصر لأشهر المدن الأندلسية، في حين تضمَّن المحور الثاني عدداً من المناظرات اللغوية والأدبية التي جرت بين علماء من الأقاليم المشرقية والمغربية على حدٍّ سواء، وتناول المحور الثالث مظاهر المفاخرة بين المدن الأندلسية، أما المنهج المتبع فكان المنهج الاستقرائيّ التحليليّ لمناسبته مع طبيعة البحث.

الكلمات الدالة: المفاخرة، المدن الأندلسية، المناظرات الأندلسية.

المقدمـة

عرض الشعر الذي تفاخر بالمدن إلى مزايا المدينة ومقوّماتها، وهي في عظمة قوتها، وأوج نشاطها، سواءً أكانت في علمها وعلمائها، أم في جمال طبيعتها وصنائعها المتنوعة، أم في المعالم الحضارية، كالمساجد والقصور أو القلاع والحصون.

وتعد المدينة مظهراً حضارياً من مظاهر الأمم لما تحويه من معالم متعددة منها القصور، ودور العلم، والعبادة والأسواق والنوادي الأدبية، وورش الصنائع المختلفة، والمدينة مرآة ذلك القطر؛ لأنها مركز الثقل والسلطان؛ لذا شكلت مادّة مهمَّة للشعراء، ومصدر إلهام في قولهم، فلم يهملوا هذا الجانب؛ لكن التغني بالمدن والمفاخرة بها غالباً ما جاء في تضاعيف الأغراض المختلفة للشعر، وما جاء مستقلاً كان قليلاً، وعلى شكل مقطوعات قصيرة أسهمت في نهوض هذا البحث إلى جانب النثر الذي تحمل عنواناته الحديث المباشر عن مفاخرة المدن وفضائلها.

المحور الأول: المدن الأندلسيَّة

دخل كثير من المدن الأندلسيّة في حالة تنافس شديد فيما بينها لدواعي الفخر، سواء أكان هذا التنافس مباشراً أم غير مباشر، وقد كان في موضوعات متعددة، وجاء على ألسن الشعراء والأدباء، وقبل الحديث عن المفاخرة آثرت التعريج على أبرز المدن الواردة في الأدب الأندلسيّ للتّعريف المختصر بها، وضبط اسمها باللاتينيَّة مرتبة على الحروف:

- **إِشْبِيْلِيَة:(Sevilla)** مدينة كبيرة عظيمة، تسمَّى "حمص" أيضاً. تقع على نهر قرطبة، وهي قريبة من البحر، يطل عليها جبل المشرف، أسوارها حصينة، وأسواقها كثيرة، ينسب إليها خلق كثير من أهل العلم، منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب الإشبيلي، وهو قاضيها، مات سنة (ت276هـ). (الإدريسي، 1989، الحموي، 1995، الحميري، 1980).
- **بَطَلْيوس:(Badjoz)** مدينة كبيرة تقع على نهر آنة غربي قرطبة، ينسب إلى بطليوس خلق كثير منهم، أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي النحوي اللغوي (ت521هـ)، صاحب التَّصانيف والشعر. (الحموي، 1995، الحميري، 1980).
- **بَلَنْسِيَة:(Valencia)** مدينة مشهورة، تقع شرقي قرطبة، بها أسواق كثيرة، وهي على نهر جارٍ، لها أربعة أبواب، من أدبائها أبو المطرف المعروف بابن عميرة (ت658هـ) والشاعر ابن الزَّقَّاق (ت529هـ). (الإدريسي، 1989، الحموي، 1995، الحميري، 1980).
- **تُطيْلة:(Tadela)** تقع شرقي قرطبة، غزيرة المياه كثيرة الأشجار والأنهار، اختطت أيام الحكم بن هشام بن عبد الرحمن (ت206هـ)، ومن تطيلة الشاعر المُجيد، الأعمى التطيليّ (ت525هـ). (الحموي، 1995، الحميري، 1980).
- **جَيَّان:(Jaen)** مدينة لها كَورة واسعة بالأندلس، وجيَّان في سفح جبل عالٍ جداً، وقصبتها حصينة، ومن أمثال العامة فيها:"يذكر البلدان ويسكن جيّان". (الحموي، 1995، الحميري، 1980).

* قسم اللغة العربية جامعة بير زيت، فلسطين. تاريخ استلام البحث 2016/4/12، وتاريخ قبوله 2016/10/28.

 © 2018 عمادة البحث العلمي وضمان الجودة/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

• **رُنْدَة:(Ronda)** مدينة قديمة على نهر جارٍ، ويصفها ابن الخطيب (ت776هـ) بقوله: أقواتها جديدة وبالية، ونعمها بجوار الجبل متوالية، وهي بلد أعيان وصدور، وشموس وبدور، (الحموي، 1995، ابن الخطيب، 2002، الحميري، 1980). وممن ينسب إليها الشاعر المشهور أبو البقاء الرُّندي(ت684هـ).

• **سَرَقُسْطَة:(Zargoza)** تقع في شرق الأندلس، وبها المسجد الجامع، بنيت على نهر كبير، وانفردت بالنسيج، ولاسيّما الثياب المعروفة بالسرقسطية، وهذه خصوصيّة لأهل هذا الصُّقع. (الحموي، 1995، الحميري، 1980).

• **سَرَقُوْسَة:(Sarakosa)** أكبر مدينة بجزيرة صقلية تقع على ساحل البحر، وهي من مشاهير المدن وأعيان البلاد، عليها ثلاثة أسوار، ولها مَرسيان، ينسب إليها الشاعر المشهور ابن حمديس (ت527هـ). (الإدريسي، 1989، الحموي، 1995).

• **شاطبة:(Xativa-Jativa)** مدينة جليلة متقنة حصينة، لها قصبتان ممتنعتا، وقد أحاط بها الوادي، وينسب إليها عبد العزيز بن عبد الله بن ثعلبة أبو محمد السعدي الشاطبي (ت465هـ). (الحموي، 1995، الحميري، 1980).

• **شَقُنْدَة:(Secunda)** قرية بعدوة نهر قرطبة قبالة قصرها، وينسب إليها الشَّقُنْدِي(ت629هـ) صاحب الرسالة التي فاضل فيها بين برِّ الأندلس وبرِّ العُدْوة. (الحميري، 1980).

• **شَنْتَرين:(Santaren)** مدينة حصينة جهة الغرب، تقع على جبل كثير العلو، فيها بساتين كثيرة وفواكه، يفيض نهرها على بطحائها كفيض نيل مصر، وينسب إليها ابن بسام الشنتريني(ت542هـ) صاحب كتاب الذخيرة. (الحموي، 1995، الحميري، 1980).

• **باجَّة:(Beja)** من أقدم مدن الأندلس بنياناً وأولها اختطاطاً، وتعني "الصلح" في كلام العجم، ومنها الوشاح والفيلسوف المعروف بابن باجَّة (ت533هـ). (الحميري، 1980).

• **شَنْتَمَرِيَّة:(sta,maria)** تقع على معظم البحر الأعظم، بها مسجد جامع ومنبر جماعة. بها المراكب واردة وصادرة، وبها صناعة الأساطيل، وينسب إليها الشنتمري الأعلم(ت476هـ). (الحموي، 1995، الحميري، 1980).

• **طَرْطُوْشَة:(Tartosa)** تتصل بكورة بلنسية، تقع في سفح جبل، ولها سور حصين، وبها أسواق وعمارات وضياع، ينسب إليها الفقيه الزاهد أبو الوليد الطرطوشي الفهري. (الحموي، 1995، الحميري، 1980).

• **طُلَيْطِلَة:(Toledo)** تعد مدينة طليطلة مركزاً لجميع بلاد الأندلس، ولها من جميع جهاتها أقاليم وقلاع منيعة، وعلى بعد منها في جهة الشمال الجبل العظيم، المعروف بالشارات، وبها قنطرة مشهورة. (الإدريسي، 1989، الحموي، 1995).

• **غَرْنَاطَة:(Granada)** قال أبو محمد عفّان: الصحيح أغرناطة؛ لكن العامّة أسقطوا بدايتها، ومعناها الرّمانة، وهي من مدن إلبيرة، وعلى جنوبها نهر الثّلج المسمى شِنِّيْل، ومبدؤه من جبل شِلِّيْر وهو جبل الثّلج، ووادي آش وغرناطة في شمال الجبل.(الإدريسي، 1989، الحموي، 1995، الحميري، 1980).

• **قُرْطُبَة:(Cordoba)** وهي على نهر عظيم عليه قنطرة عظيمة. يقول ابن حوقل: أعظم مدينة بالأندلس قرطبة، وليس لها في الغرب شبيه في كثرة الأهل وسعة الرقعة، وهي حصينة بسور من حجارة، ولها بابان، وجامعها بإزاء القصر من جهة الشرق، وينسب إليها جماعة وافرة من أهل العلم. (الإدريسي، 1989، الحموي، 1995، الحميري، 1980).

• **مالَقَة:(Malaga)** مدينة حصينة يعلوها جبل يسمى جبل قارَه، لها قصبة منيعة، وبها من شجر التين ما ليس بأرض، وهذا التين المنسوب إلى ريّة. وعدَّها ابن الخطيب الدرَّة الوسيطة وفردوس هذه البسيطة، وينسب إليها من أهل العلم الكثير، منهم، عبد الله بن يحيى المعروف بابن عسكر(ت636هـ). (الإدريسي، 1989، ابن الخطيب، 2002).

• **مَرْسِيَة:(Murcia)** مدينة اختطها عبد الرحمن بن الحكم بن هشام وسماها " تدمير" بتدمرالشام، ولها جامع جليل وحمامات وأسواق عامرة، ولها ربض عامر آهل، وبها حصون وقلاع وأقاليم معدومة المثال، وينسب إليها ابن التياني اللغوي المرسيّ صاحب "الموعب". (الحموي، 1995، الحميري، 1980).

• **المَرِيَّة:(Almeria)** مدينة كبيرة من كَوْرَة إلبيرة، وفيها مرسىً للسفن، ويعمل بها الوشي والديباج، وبها تصنع صنوف آلات النحاس والحديد، وفيها نحو ألف فندق، وينسب إليها محمد بن خلف بن سعيد المريّ المعروف بابن المرابط. (الحموي، 1995، الحميري، 1980).

المحور الثاني: أدب المفاضلة بين المشرق والمغرب

شهدت العصور المختلفة الكثير من المنافسات الأدبية التي كانت تجري بين الشعراء، ويُحْتَكم فيها إلى طرف ثالث، ليقيس جودة شعر الطرفين المتنافسين، مع أن النقد في بداياته كان يتسم بالذوق الشخصي، ولا يستند إلى معايير واضحة، ولعل المنافسة التي جرت بين امرئ القيس(ت565م) وعلقمة

الفحل(ت603م)، واحتكامهما إلى أم جندب لخيرُ دليل على وجود هذه المسابقات والمفاخرات بين الشعراء منذ العصر الجاهلي.

ولم تقتصر المساجلات الأدبية على الشعراء، بل وصلت إلى اللغويين والنَّحْويين، إذ ينحاز كل طرف إلى مدرسة مدينته أو إقليمه. وهناك الكثير من المسائل التي تعمّق فيها الخلاف، وأصبحت مشهورة لكثرة دورانها على الألسن، ومن الأمثلة على ذلك المسألة الزنبورية التي جرت بين إمام مدرسة الكوفة الكسائي(ت189هـ)، وإمام مدرسة البصْرة سيبويه(ت180هـ)، ولا ضرورة للتفصيل في هاتين المسألتين لشهرتهما.

وتعد الأسفار التي تجري في أيامنا لطلبة العلم بحثاً عن الاختصاص والتميز، امتداداً للرحلات العلمية التي كانت بين المشرق والمغرب، من أجل تبادل العلم والمعرفة والثقافات المختلفة، وقد كانت أعداد الطلبة كثيرة في الاتجاهين " اعلم أن الداخلين للأندلس من المشرق قوم كثيرون لا تُحصر الأعيان منهم فضلاً عن غيرهم، ومنهم من اتخذها وطناً، وصيرها سكناً، إلى أنْ وافته منيته، ومنهم من عاد إلى المشرق بعد أنْ قُضيت بالأندلس أمنيته " (المقَّري، 2008).

ويمكن الوقوف عند بعض الشخصيات التي تركت أثراً واضحاً في الحياة العلميّة، وكانت قبلة يحجُّ إليها طالبو العلم من كل صقع وفضاء، ومن أبرزها أبو علي القالي(ت356هـ) الذي كان له فضل كبير في نقل جزء كبير من أدب المشرق إلى المغرب بعدما " وفد على الأندلس أيام الناصر أمير المؤمنين عبد الرحمن، فأمر ابنُه الحكم - وكان يتصرف عن أمر أبيه كالوزير- عاملَهم ابن رماحس أن يجيء مع أبي علي إلى قرطبة، ويتلقَّاه في وفْدٍ من وجوه رعيته، ينتخبهم من بياض أهل الكورة تكرمة لأبي علي، ففعل، وسار معه نحو قرطبة في موكب نبيل، فكانوا يتذاكرون الأدب في طريقهم ويتناشدون الأشعار" (المقَّري، 2008).

ولقي القالي حفاوة بالغة من الخليفة وحاشيته؛ لأنه وصل إلى الأندلس في الوقت الذي لقي فيه العلماء الكثير من الاهتمام على المستوى الرَّسمي، مما جعل أبا علي يقارن مكانته بين المشرق والمغرب، إذ مكث في الأندلس ستاً وعشرين سنة، فكانت فترة كافية لاكتساب الشهرة وبيان أثر علمه في المجتمع. (ينظر: المقَّري، 2008).

وقد زخرت مصادر التراث الأدبي بالعديد من النوادر التي أظهر فيها أصحابها مفاخراتِهم، وولاءَهم للإقليم الذي قدموا منه، وللبقعة التي نشأوا فيها وترعرعوا.

ومن هذه النوادر ما جرى بين أبي علي القالي وابن رفاعة الإلبيري بحضور ابن رماحس عامل أمير المؤمنين عبد الرحمن عندما تحاورا في المسألة التي طرحها عبد الملك بن مروان على جلسائه "عن أفضل المناديل وإنشاده بيت عَبَدَة ابن الطَّبيب: **[البسيط]**

ثُمّتَ قُمْنَا إلى جُرْدٍ مسوّمَة

أعرافُهُن لأيدينا مَنادِيلُ

وكان الذاكر للحكاية الشيخ أبا علي، فأنشد الكلمة في البيت "أعرافها لأيدينا مناديل"، فأنكرها ابن رفاعة الإلبيري، وكان من أهل الأدب والمعرفة، وفي خلقه حرج وزَعاره، فاستعاد أبا علي البيت متثبتاً مرتين، وفي كلتيهما أنشده "أعرافها" فلوى ابن رفاعة عِنانه منصرفاً، وقال: مع هذا يوفد على أمير المؤمنين، وتتجشم الرحلة لتعظيمه، وهو لا يقيم وزن بيت مشهور بين الناس لا تغلط الصبيان فيه؟ والله لا تبعته خطوة، وانصرف عن الجماعة وندبه أميره ابن رماحس أن لا يفعل، فلم يجد فيه حيلة، وكتب إلى الحكم يعرفه ويصف له ما جرى لابن رفاعة ويشكوه، فأجابه على ظهر كتابه: الحمد لله الذي جعل في بادية من بوادينا مَن يخطِّئ وافدَ أهل العراق إلينا، وابن رفاعة أولى بالرضى عنه من السخط، فدعه لشأنه واقدم بالرجل غير منتقصٍ من تكرمته، فسوف يعليه الاختبار إن شاء الله تعالى أو يحطّه" (المقَّري، 2008).

يفهم من هذه الحادثة أن ابن رفاعة أراد أن يخطئ أبا علي القالي ذلك العالم اللغوي المشهور الذي شهد له القاصي والدّاني، بسبب هفوة عَروضية، ليظهر المكانة العلمية للأندلس، وتفوقها على المشرق. وأراد أيضاً أن يؤلب عليه مَن سمع به؛ ليقلل من شأنه، وهذا ما كشف عنه كلام الخليفة الذي حمد الله لوجود خصم عنيد يتصدّى لبضاعة أيّ وافد، ويقيم عليه الحجّة. ومع ذلك نال احتراماً شديداً، وحظي باهتمام الكثير من الرَّعية وأعيان القوم؛ كي ينهل من معينه الدارسون والمتتلمذون على يديه، إذ أقام الكثير من حلقات العلم، وأصبح عنده عدد كبير من الدارسين الذين باتوا عند ركبه حبّاً في طلب العلم، والتأديب، وقد أفضت هذه الحلقات إلى مفاخرات بين التلاميذ حتى وصل الأمر إلى تلميذه الشاعر الرَّمادي الذي قال في أبي علي القالي: (المقَّري، 2008، الثعالبي، 2000، الحميدي، 2004، ابن خاقان، 1983). **[الكامل]**

مَن حاكمَ بَيني وبيْنَ عذولي

الشَّجْوُ شَجْويْ والعَويلُ عَويلِي

في أيِّ جارحةٍ أصونُ مُعذِّبِي

سَلِمَتْ مِنَ التَّعذيبِ والتَّنْكيلِ

إنْ قلْت في بَصَري فثمَّ مَدامِعي

أو قلْت في قلْبِي فثمَّ عَليلِي

لكنْ جَعَلْت له المَسامِعَ موضعاً

وحَجَبْتها عن عَذْلِ كلِّ عَذولِ

يمدح الشاعر الرّمادي (ت403هـ) أستاذه أبا علي، وهو شاعر مُفْلِق، وأفاد منه كثيراً، إذ جعله حَكَماً ليفاضل بينه وبين أقرانه، ويحاول أن يردّ الجميل لأبي علي القالي من خلال الحفاظ عليه، والاهتمام به، ويجد له مكاناً في جوارحه ومشاعره، وقد جعل للسمع موضعاً له، ومنعه من سماع اللائمين.

ومن أبرز نتائج اهتمام الساسة بأبي علي القالي وعلمه أن طرز باسم أمير المؤمنين الحكم المستنصر كتاب "الأمالي" (المقَّري، 2008)، ومن الذين أخذوا عن أبي علي القالي الزبيديُّ(ت379هـ) الذي كان إماماً في الأدب؛ لكنه عرف فضل القالي عليه، فمال إليه واختص به وأفاد منه. (ينظر: المقَّري، 2008).

لقد ذاع صيت أبي علي القالي في الأندلس؛ لبراعته في اللغة والشعر والنحو، ولأنه تتلمذ على شيوخ لهم باع طويلة في اللغة والأدب، أمثال ابن دُرَيد(ت321هـ) وابن الأنباري (ت304هـ)، وابن دُرُسْتَوَيْه (ت347هـ)، فبالتالي أصبح شيخاً، وتلميذه الزّبيدي سيتأثر به، الأمر الذي يعلي من مكانة موطنه المشرق. (المقَّري، 2008).

وأشار الضَّبي (ت599هـ) في كتابه "**البُغْيَة**" إلى أن القالي " كان أحفظ زمانه للغة وأرواهم للشعر، وأعلمهم بعلل النحو على مذهب البصريين، وأكثرهم تدقيقاً في ذلك" (الضّبي، 1997)، ولعل هذه السمات والقدرات تمنحه مكانة رفيعة يستأهل أن يفاخر بها على غيره، ويشرف الإقليم الذي وفد منه، ولا ننسى أنْ تتلمذ على يده عدد كبير من الدارسين الذين أصبحوا بفضل علمه شيوخاً وعلماء، ورأوا فيه كفاية لصقل مواهبهم وقدراتهم.

وتجدر الإشارة إلى أن المفاخرة تفرز أحياناً حُسَّاداً لصاحبها، ولعلَّ ردَّ المتنبي(ت354هـ) على قصيدة الرّمادي التي مدح بها أبا علي القالي لدليل على ذلك، وما كان من الرّمادي إلا أن يردَّ عليه بالطريقة نفسها. (للاستزادة ينظر: المقَّري، 2008).

وإنْ غاب أبو علي القالي عن الأندلس جسداً؛ فقد بقي فضله وعلمه منهلاً عذباً ينهل منه الباحثون والدارسون، وجناه دانياً من كل راغب في طلب الدَّرس، وكان له هذا بعدما أيقن جلالة العلم ومهابته، إذ قال " لما رأيت العلم أنفس بضاعة أيقنت أن طلبه أفضل تجارة، فاغتربت للرواية، ولزمت العلماء للدراية، ثم أعملت نفسي في جمعه، وشغلت ذهني بحفظه، حتى حويت خطيره، وأحرزت رفيعه، ورويت جليله، وعرفت دقيقه، وعقلت شارده، ورويت نادره، وعلمت غامضه، ووعيت واضحه، ثم صنته بالكتمان عمّن لا يعرف مقداره ونزهته عند من يجهل مكانه" (القالي، 1987) واستطرد في الحديث عن هذه الجوهرة "كتابِ الأمالي" التي تعد من المصادر المعدودة في الأدب العربي، لما حوته من طرائف وعلوم الأدب. وهذا الكتاب الجامع الكبير يكفي وحده أن يتباهى به، ومع ذلك فقد ألف تصانيف أخرى كثيرة ومتنوعة.

ولم يكن أبو علي القالي وحده الذي وفد إلى الأندلس، بل لحق به العالم اللغوي صاعد البغدادي (ت417هـ)، (ترجمته: ابن بسام، 1998) الذي دخل في منافسات لغوية وأدبية مع علماء الأندلس، ولا سيما تلاميذ القالي، وقد عرف عن صاعد أنه قوي البديهة سريع الإجابة، واتهم بالتلفيق إذا ما ضاق بالجواب، وقد تأهّب نفر من العلماء لاختباره وإظهار تفوقهم عليه عندما " اجتمع عند المنصور بن أبي عامر أعيان الأوان كالزّبيدي والعاصمي وابن العريف ومن سواهم، فقال لهم المنصور هذا الرجل الوافد علينا صاعد، يزعم أنه متقدم في هذه الآداب التي أنتم سُرُجها الضاحية، وأهلتها السارية، وأحبُّ أن يمتحن ما عنده، فوجه إليه. ودخل والمجلس قد احتفل فخجل، فرفع المنصور مجلسه وآنسه، وسأله عن أبي سعيد السّيرافي، فزعم أنه لقيه وقرأ عليه كتاب سيبويه. فبادره العاصمي بالسؤال عن مسألة من الكتاب فلم يحضره فيها من جواب، واعتذر أن النحو ليس جلّ بضاعته، ولا رأس صناعته، فقال الزبيدي: فما تحسن أيها الشيخ؟ قال حفظ الغريب. قال: فما وزن أوْلق؟ فضحك صاعد وقال: أمثلي يسأل عن هذا؟ إنما يُسأل عن صبيان المكتب. قال الزبيدي فقد سألناك، ولا نشك أنك تجهله. فتغير لونه وقال: "**أفْعَل**" قال الزبيدي صاحبكم ممخرِق، قال صاعد: إخال الشيخ صناعته الأبنية؟ قال له: أجل. قال صاعد: وبضاعتي أنا حِفظ الأشعار، ورواية الأخبار، وفكُّ المُعمَّى" (ابن بسام، 1998).

يلاحظ من كلام المنصور أنه يتباهى بما عنده من العلماء والمتخصصين الذين شبههم بالسرج، والأهلّة لما لها من فضل في نشر العلم والمعرفة، ويشكك في قدرة صاعد عندما قال " يزعم أنه متقدم في هذه الآداب"، وقد اعتذر صاعد عن مسألة لم يحضره جوابها؛ معللاً ذلك بأن النحو ليس اختصاصه الدقيق، أما فيما يتعلق بوزن كلمة "أوْلَق"، فالإجابة صحيحة، ولكن صاعداً لم يكن متثبتاً منها، على أن تعود كلمة "أوْلق" إلى مادة "وَلَق"، ومن معانيها في اللسان الكذب، ويقال ولَق الكلام: دبّره، لكن لم يتنبه الزّبيدي وفريقه إلى هذا الجذر، وأعادوا كلمة "أوْلق" إلى "ألق" ومصدرها "الألَق" بمعنى الجنون والحماقة، وبهذا المعنى تكون كلمة "الأوْلق" بمعنى الأحمق ووزنها "فوعل". ومع ذلك تأتي كلمة "ألق" بمعنى كذب، إذ يقال ألق الرجل: إذا انبسط كلامه بالكذب، و"الألَق"

هو الكذب في قول العرب، وبهذا اتفقت المادتان في معناهما، وخرج المتناظران بإجابات صحيحة.

ولكن ما الذي دفع الزّبيدي إلى سؤال صاعد عن هذه المفردة دون غيرها؟ إذ يبدو أنه تحقق هو وفريقه من قدرته على المجادلة المنطقية وقوة الارتجال، فنعتوه بالكذب والتلفيق من خلال السؤال السابق، كذلك عندما قال إنَّ صاحبكم ممخرق، ويسعى باتهامه الكذب؛ ليبرز تمكنهم من اللغة، وحفظ غريبها مع أن ما سأله الزبيدي لا يُرى فيه أيُّ شذوذ للقاعدة أو غرابة في اللغة، فقد ركز على دلالة الكلمة ومعناها، فطرح سؤالاً وأراد منه إجابة لسؤال آخر، ويبدو أنه أراد المعنى الذي يمس مكانة صاعد ويطيح بها، ومع ذلك فقد أجاز الجوهري(ت398هـ) أن تكون "أولق" من مادة "ألق" على وزن "أفعل"؛ لكن مسوغات هذه الإجازة ليست بيّنة.

ومن المناظرات التي تدل على براعة صاعد ورسوخ قدمه في علوم اللغة والأدب، تلك التي جرت بحضرة المنصور عندما ناظره ابن العريف " فظهر عليه صاعد، وجعل لا يجري في المجلس كلمة إلا أنشد عليها شعراً شاهداً أو أتى بحكاية تجانسها، فازداد المنصور عجباً" (ابن بسام، 1998، المقَّري، 2008)' وعندئذٍ عرض عليه كتاب "النوادر" لأبي علي القالي ليقول فيه رأيه، فقال صاعد " إذا أراد المنصور أمليت على مقيّدي خدمته وكتّاب دولته كتاباً أرفع منه قدراً، وأجلّ خطراً، لا أدْخِل فيه خبراً مما أدخله أبو علي. فأذن له المنصور في ذلك" (ابن بسام، 1998).

وعندما انتهى من تصنيفه سمّاه "**الفصوص**"، وقد تتبعه الأدباء والعلماء، فلم يجدوا فيه خبراً سمعوا فيه من قبل، ولا كلمة زعموا صحتها عندهم، ووصل الخبر إلى المنصور، وقال إنه رجل مقتدر على الكذب، وقد أسقط الأمرُ في يد صاعد عندما كلَّف بعضُ هؤلاء الأدباء " المنصورَ أن يأمر بتسفير كاغد أبيض وتغيير بهجته ليدلَ على القِدم. ففعل وترجم على ظهر ذلك السفر بكتاب "**النكت**" تأليف أبي الغَوث الصَّنعاني" (ابن بسام، 1998).

فزعم صاعد أنه رآه في بلد ما، وهو بخط فلان، فأخذه المنصور من يديه؛ كي لا يعلم محتواه، إذ لم يتطابق كلام صاعد مع محتوى الكتاب. فأمر المنصور أن يلقوا "**الفصوص**" في النهر، مما نال من مكانة صاعد التي أظهرت براعة ومقدرة في المسألة السابقة، وقد وصف أحد الشعراء إلقاء هذا الكتاب في النهر بقوله: **[السريع]**

قدْ غاصَ في البَحْرِ كتابُ الفُصوصِ

وهكذا كلُّ ثقيلٍ يَغُوصُ

فردَّ صاعد قائلاً: (ينظر: ابن بسام، 1998). **[السريع]**

عادَ إلى مَعْدَنِهِ إنَّمَا

توجَدُ في قَعْرِ البِحارِ الفُصوصِ

إن دلالة كلمات البيت الأول تظهر مكانة هذا الكتاب وأهميته؛ لكن الشاعر لم يرد ذلك، ومن المناظرات التي كان فيها صاعد هو البادئ بالسؤال، المناظرة التي سأل فيها العاصمي وآخرون عن معنى قول امرئ القيس **[الطويل]**

كأنَّ دِماءَ الهادِياتِ بِنَحْرِهِ

عُصارَةُ حِنَّاءٍ بشَيْبٍ مُرَجّلِ

وأجابوا بأن فرساً شهباء عقرها وحشٌ؛ فتطاير دمها، فتعجب صاعدٌ من الإجابة، وقال: أنسيتم قوله في صفة الخيل؟ **[الطويل]**

كُمَيْتٍ يَزِلُّ اللَّبْدُ عَن حالِ مَتْنِهِ

كما زَلَّتِ الصفواءُ بالمُتنزّلِ

(المقَّري، 2008).

يشبّه امرؤ القيس صورة الفرس وهي في حالة الجري، وظهور حبيبات العرق تتدحرج على جسمها بصورة السيل الذي يقذف بالحجارة الملساء، ثم يشبه دماء الهاديات بالحنّاء، وقصد بها الأواخر من أجسام الوحوش التي لحقت بها هذه الخيل وطعنتها؛ مما أدى إلى تراشق هذه الدماء على صدرها، فالمعنى جاء عكس ما قصده مناظرو صاعد، إذ جعلوا الخيل مفترَسةً من الوحوش، وقد شبه الشاعر هذه الدّماء بالحنّاء التي خضبت الشيب المسرّح، مع أن الخيل هنا ليست شهباء بل كمتاً يميل لونها إلى الحُمرة الصافية. وتمثل هذه المناظرة نقطة ارتكاز لصاعد؛ لأنه أفحم مجموعة تناولت معنى البيت منزوعاً من السياق الذي أتى فيه.

وثمة قصص فاضل فيها المنصور أهله على مَن قدم من المشرق، منها ما كان يوم العيد عندما دخل عليه صاعد بثياب وخفٍّ جديدين " فمشى على حافة البركة لازدحام الحاضرين في الصحن، فزلق فسقط في الماء، فضحك المنصور وأمر بإخراجه...وقال له: هل حضرك شيء؟ فقال: **[الكامل]**

شيئانِ كانا في الزَّمانِ عَجيبةً

ضَرْطُ ابْنِ وهَبٍ ثُمَّ وقْعَةُ صاعِدِ

فاستبرد ما أتى به، فقال أبو مروان الكاتب الجزيري هلا قلت: **[المتقارب]**

سرورِي بِغُرَّتِكَ المُشْرِقَةْ

وديْمَة راحَتِك المُغدِقَةْ

ثانيَ نشوانَ حتى غَرِقْ

تُ في لجّةِ البركةِ المطبِقةْ

لئنْ ظلَّ عبدُك فيها الغريقَ

فجُودُك من قبلِها أغرقَهْ"(المقَّري، 2008).

يمدح أبو مروان المنصور ويحاول أنْ يصور سقوط صاعد في البركة بكلام أبلغ مما أتى به، ولا سيما عندما جعل غريق الماء غريقاً في جود المنصور، ونال هذا الكلام إعجاب المنصور، وأخذ يتفاخر بما أتى به عندما قال له: " لله درُّك يا أبا مروان، قسناك بأهل بغداد ففضلتهم، فبمن نقيسك بعد؟" (المقَّري، 2008).

ومن العلماء الذين تميزوا برسوخ القدم في اللغة، وتثبتهم من شاردها ووارِدها ابن الإفليليّ(ت441هـ) (ترجمته: السيوطي، 2004، الفيروزآبادي، 2001)، وهو ينحدر من أصول مشرقية، وقد كان " فريد أهل زمانه بقرطبة، في علم اللسان العربي، والضبط لغريب اللغة في ألفاظ الأشعار الجاهلية والإسلامية والمشاركة في بعض معانيها" (الحمويّ، 1991)، وقد دخل في مناظرة مع تابع ابن شهيد(ت426هـ) عندما تنكر كل منهما لقراءة الآخر، فقال الإفليلي: "وأخذت للكلام أهبته، ولبست للبيان بزته، فقلت: وأنا أيضاً لا أعرف على مَن قرأت، قال: ألمثلي يقال هذا؟ فقلت:فكان ماذا؟ قال: فطارحني كتاب الخليل، قلت: هو عندي في زِنبيل، قال: فناظرني على كتاب سيبويه، قلت: خرِيت الهرّة عندي عليه، وعلى شرح ابن درستويه، فقال لي: دعْ عنك، أنا أبو البيان، قلت: لاهَ الله! إنما أنت كمغنٍّ وَسَط، لا يحسن فيطرب، ولا يسيء فيلهي، قال: لقد علمنيه المؤدبون، قلت: ليس هو من شأنهم، إنما هو من تعليم الله تعالى، إذ قال (الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان) ليس من شعر يُفسر، ولا أرض تُكسر. هيهات، حتى يكون المسك من أنفاسك، والعنبر من أنقاسِك" (ابن شهيد، 2010، ابن سعيد، 1997).

يلاحظ من كلام ابن شهيد أنه كان كثير الاستهزاء باللغويين، ويحاول أنْ يقلل من مكانتهم، ويحطَّ من قدْرهم، وقد ازدرى وهزَّأ كتاب الخليل، وكتاب سيبويه، وادّعى أنه أبو البيان، وهو العالم المتمكن منه، إلا أن الإفليلي وصفه بالمغني الوسط، ولو كان جيداً أو رديئاً لكان أفضل. وأنكر الإفليلي عليه بيانه، واستبعد أن يكون كاتباً مجوداً.

وثمة رحلاتٌ عكسية من الأندلس إلى المشرق بهدف الأخذ عن المشرقيين، وكان يتخللها الكثير من المسابقات الأدبية، نذكر منها ما كان بين عثمان بن المثنى(ت273هـ)، وحبيب بن أوس أبي تمام الطائي)(ت231هـ) عندما جمعهما مركبٌ في بحر القُلزم، فأنشده أبو تمام قوله: **[الكامل]**

اللهُ أكبرُ جاءَ أكبرُ مَنْ مَشى

فَتَعثَّرتْ في كُنْهِهِ الأوْهامُ

وهو مطلع قصيدة، وقد رأى ابن المثنى أنه شعر حسن؛ لكن لا ابتداء له، ولم يرق هذا الكلام لأبي تمام، وفي اليوم الثاني ابتدأ شعره بقوله: **[الكامل]**

دِمَنٌ ألمَّ بها فقالَ سلامٌ

كمْ حلَّ عقدةَ صَبْرِهِ الإلْمامُ

وقد أعجب هذا الابتداء ابن المثنى؛ فأردف قائلاً: أنت أشعر الناس، فعلم أبو تمام قدر ابن المثنى وفضله، وقد عرف عنه أنه أول من أدخل شعر أبي تمام إلى الأندلس (ينظر: ابن الأبار، 2008)، إذ حاول كل شاعر في هذه القصّة أن يشرّف بلده الذي ينتمي إليه، فالإعجاب بين الشاعرين كان متبادلاً، من خلال حوارٍ جرى بينهما، والحوار معيار أصيل، وقيمة عليا تقدمت بسببه الشعوب وارتقت.

ويعدُّ جودي النحوي (ت198هـ) (ترجمته: الزبيدي، دت)، من الذين رحلوا إلى المشرق، وأخذ عن الكسائي(ت189هـ) والفرّاء(ت207هـ) وبعد عودته من المشرق راح يعقد حلقاً من العلم؛ لأنه أصبح متسلحاً بعلم المشارقة الذين التقى بهم. وفي حلقته أنكر على عباس بن ناصح (ت نحو230هـ) قوله: (ترجمته: ابن الفرضي، 2006) **[السريع]**

يَشهدُ بالإخلاصِ نوتيّها

للهِ فيها وهْوَ نَصْرانِي

وذلك لغياب حركة التشديد عن ياء النسب،" (ينظر: الزبيدي، دت) وكان بالحضرة رجلٌ من أصحاب عباس بن ناصح، فساءه ذلك. فقصد إلى عباس – وكان مسكنه الجزيرة – فلما طلع على عباس قال له:ما أقدمك أعزك الله في هذا الأوان !قال: أقدمني لحنُك؛ قال عباس: وكيف ذلك؟ فأعلمه بما جرى من القول في البيت، قال: فهلا أنشدتهم بيت عمران بن حطَّان: **[البسيط]**

يوماً يَمانٍ إذا لاقَيْتُ ذا يَمَنٍ

وإن لقيت معدِّيّاً فعدناني

قال: فلما سمع البيت كرَّ راجعاً...فاجتمع بجودي وأصحابه فأعلمهم" (الزبيدي، دت).

ويلاحظ من القولين أن سبب غياب حركة التشديد عن ياء النّسب الضرورة الشعريّة، فكان الأوْلى من الجودي وأصحابه ألاّ ينكروا على عباس بن ناصح قوله، وربّما لم يتنبّه عباس لهذا الأمر، وقد يكون على دراية به، أو مقلداً لعمران بن حطّان دون تعليل لذلك.

ولعل أحد أسباب إذكاء روح المفاخرة بين علماء اللغة الهجرةُ في كلا الاتجاهين، التي كانت تؤدي أحياناً إلى عزوف الطلبة عن مجلس المقيم والالتحاق بمجلس الوافد الجديد، إذ يمكن الاستدلال على ذلك بما جرى بين الخُشَنِيّ والعِجْليّ الذي وفد إلى قرطبة من العراق " فتسارب الناس إليه، وانجفلوا إلى مجلسه، فخلا مجلس الخُشَنِيّ. قال عفير: فقال لي الخُشَنِيّ: ما

لكَ لا تسرع إلى ما أسرع الناس إليه؟ فقلت له: لست أبغي بك بدلاً، فقال أحبُّ أنْ تأتي الرجل وتشهد مجلسه، فغدوت إلى العِجليّ، فحضرته يُملي: المِرَّة العداوة، وجمعها مِرَرٌ، وكان أحد مَن يكتب بين يديه زيد الجيَّاني، فقلت: يرحمك الله! قال أبو عبيد في المصنَّف: المِئْرة العَداوة، وجمعها مِئَرٌ، قال: فكأني أنظر إلى زيد قد محا ما كتب، وقال هذا الحقُّ، ثم رددت عليه كلمة ثانية وثالثة في المجلس، فانفض الناس عنه، ولم يعد إليه بعدها أحدٌ، وبدر الخبر إلى الخُشَنِيّ، فلما أتيته استدناني، وقبَّل بين عينَي، وقال لي: نعم مستودع العلم أنت" (الزبيدي، دت).

يشير هذا النص إلى تمكّن طالب الخُشني: عفير بن مسعود(ت317هـ) من تخطئة العِجْلي وإفحامه، وذلك بدافع من شيخه؛ لأن ما قاله عفير من أن معنى المِئْرة هو العداوة، وجمعها مِئَرٌ هو صواب، واللافت للانتباه أن عفيراً لم يطرح سؤالاً بين يدي العِجْلي، ولم يأت بمسألة مسبقة يعرف جوابها، وإنما جاءت إجابته على إملاء من العِجلي إلى زيد الجيّاني الذي كان يقيّد كلامه، فقام بتصويب معنى الكلمة عندما جعل معنى المِرَّة هو العداوة، إذ لم ينافح عمّا قاله، ولم يفنّد ما جاء به عفير؛ ممّا يعني أنّ الأول كان على خطأ، بدليل أن معنى المِرَّة في المعجم، هو قوة الخَلق وشدَّته، وجمعها مِررٌ وجمع الجمع أمرار، وهذا ما جاء في لسان العرب في مادة "مَرَرَ". وعندئذ انفض الحاضرون من مجلسه، وعادوا ثانية إلى مجلس الخُشَنِي بعدما خلا من الطلبة بعد قدوم العِجلي إلى قرطبة.

وتعطي هذه القصة تصوراً كان موجوداً، وهو لجوء العلماء في المسائل اللغوية والأدبية إلى تنافس غير نزيه وغير موضوعي بقصد الإطاحة بمكانة هذا العالم أو ذاك، وهذا لا يعني أن إجابة عفير لم تكن صحيحة، وإنما حضوره كان بقصد تخطئة هذا العالم أمام جلسائه وطالبي علمه، وهذا ما قام به الخُشَنِي إذ دفع بأحد تلامذته الأذكياء، وبقي بعيداً عن الحلبة ربمّا درْءاً للحرج أمام نظرائه من العلماء؛ لأن ذلك ليس من شيمهم. وتعدّ هذا القصة مثالاً على التنافس بين علماء المدينة الواحدة وشيوخها، فالعِجليّ وعفير كلاهما وافد على قرطبة، لكن الأخير وفد إليها من إشبيلية، وأصبحا من أهلها، ومكثا فيها ردحاً من الزمن. وبدافع الغَيرة والحسد عند عفير حصلت هذه الواقعة التي هدفت إلى إقصاء العِجليّ، وإطلاق الأفق أمام الخُشَنِي.

المحور الثالث: مظاهر مفاخرة المدن في الأندلس

تكشف النفس البشرية عن ابتهاجها وفخرها عند كل إبداع وتميز يتصل بتراثها وهويتها، وقد عُرف الفخر عن العرب منذ العصر الجاهلي عندما تفاخروا بالأنساب والقبيلة، وامتد ذلك إلى العصور اللاحقة، وأصبح التركيز في الفخر على التغني بالفتوحات الإسلامية وتمجيد البطولة، ومثلما أسقط الشعراء الرثاء على المدينة، فقد انتشر الكثير من القصائد التي يتضمن جزء من محتواها المفاخرة بالمدن الأندلسية، وهي في أنفتها وعزّها وأوج قوتها، وكذلك الأمر في الرسائل الأدبية والتاريخية. ومن خلال قراءة هذه الأشعار والرسائل، تبيَّن أن هذه المفاخرات جاءت في مظاهر مختلفة، وهي على النَّحْو الآتي:

أولاً- المفاخرات الأدبيَّة والعلميَّة.

ثانياً- مفاخرات الكرم وفضائل الأخلاق.

ثالثاً- مفاخرات التشييد والمظاهر الحضاريَّة.

رابعاً- مفاخرات المنعة والحصانة.

خامساً- المفاخرة في المزروعات والصنائع.

سادساً- مفاخرات الموقع وجمال الطبيعة.

أفرد الشعراء والأدباء كلاماً يتناول جمال الأندلس، وحجم مقدراتها، ووفرة مياهها، وكثرة خيراتها، ومن القصائد التي تناولت ذلك ما قاله ابن سفر المريني: (المقَّري، 2008) **[البسيط]**

في أرضِ أندلسٍ تُلْتَذُّ نَعْماءُ
ولا يفارِقُ فيها القلبَ سرَّاءُ
وليسَ في غيْرِها بالعيشِ مُنْتَفَعٌ
ولا تقومُ بحقِّ الأنْسِ صَهباءُ
أنهارُها فضةٌ، والمِسكُ تُربَتُها
والخَزُّ رَوْضتُها، والدُّرُّ حَصْباءُ
ليس النَّسيمُ الذي يَهْفُو بها سَحَراً
ولا انتثارُ لآلي الطّلِّ أنداءُ
لذاكَ يَبْسِمُ فيها الزَّهْرُ من طَرَبٍ
والطيرُ يَشْدُو وللأغصانِ إصْغاءُ

وجاء ابن سعيد(ت685هـ) بوصف مشابه لما ورد في المقطوعة السابقة عندما قال بأنها " جزيرة أحدقت بها البحار، فأكثرت فيها الخصب والعمارة من كل جهة، فمتى سافرت من مدينة إلى مدينة لا تكاد تنقطع من العمارة ما بين قرىً، ومياه ومزارع، والصحاري فيها معدومة، ومما اختصت به أن قراها في نهاية من الجمال لتصنُّع أهلها في أوضاعها وتبييضها، لئلا تنبو العيون عنها" (المقَّري، 2008).

وبعد هذا التعميم يمكن الانتقال إلى التخصيص، لإبراز مقومات كل مدينة، وما امتازت به، الأمر الذي جعل الشعراء والأدباء يتغنون بهذه المدن انطلاقاً من المدينة التي ينتسب إليها القائل، مع أن بعض الشعراء افتتن بأكثر من مدينة لارتحاله بين عدد منها، فكانت هذه المدن مصدر إلهامه،

وسعة خياله، فهام بها وتاق إلى القول فيها.

اولاً- المفاخرات الأدبيَّة والعلميَّة

كانت قرطبة من أبرز المدن الأندلسية شهرة في العلم، ووفرة العلماء واستقطابهم، ولعل من أسباب ذلك العناية الرسمية التي كانت تهتم بالمعرفة والتنوير، فكثر فيها الفقهاء والأدباء والشعراء والفلاسفة، وباتت محطّ فخر واعتزاز عند أهلها بخاصَّة، والأندلسيين بعامَّة، وهذا ما كان في المدن الأخرى، مع افتراقها في أشياء وتشابهها في أخرى، وقد انبرى الشعراء والأدباء والمؤرخون للتعبير عن هذا الاعتزاز، من ذلك قول أبي محمد بن عطية المحاربي (ت542هـ) في قرطبة: (المقَّري، 2008). **[البسيط]**

بأربعٍ فاقَتِ الأمْصارَ قرْطُبةٌ

فهنَّ قنْطَرَةُ الوادِي وجامِعُها

هاتانِ ثنتانِ والزَّهْراءُ ثالثةٌ

والعِلْمُ أعْظمُ شَيءٍ وَهْوَ رابِعُها

يصف الشاعر في هذه الأبيات ما تحويه قرطبة من معالم الحضارة التي سنعرض لها في موضع آخر، وجاء تركيزه فيها على العلم الذي عدّه أعظم شيء، إذ قدمه على المعالم المادية للمدينة، وذلك لأهميته، لأن العلم سبب في وجود كثير من هذه المعالم. وقال ابن سارَة(ت517هـ) لمّا دخل قرطبة: (المقَّري، 2008) **[البسيط]**

الحَمْدُ للهِ قَدْ وافَيْت قُرْطُبَةً

دارَ العلومِ وكرسِيَّ السَّلاطينِ

يعبر ابن سارَة عن فرحته الغامرة بدخوله قرطبة كونها عاصمة الدولة الأموية في الأندلس، وحاضنة للعلم والعلماء، وقد شهدت نهضة علمية في كثير من المجالات، واجتمع فيها العلم والسلطان، وقال ابن سعيد في ذلك " ولأهلها رياسة ووقار، لا تزال سمة العلم والملك متوارثة فيهم"(المقَّري، 2008)، وهذا دليل على أن قرطبة تضج بالعلم والعلماء، إذ ذكر أبو الفضل التيفاشي أن مناظرة جرت بين ابن رشد(ت594هـ)، والحفيد أبي بكر بن زُهْر(ت596هـ)، فقال الأول "ما أدري ما تقول، غير أنه إذا مات عالم بإشبيلية فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها... وقرطبة أكثر بلاد الله كتباً" (المقَّري، 2008).

وعُرف عن أهل قرطبة التواضع والعلم، وتقدير الوزراء للعلماء، وقد فاخر الشَّقُنْدِي(ت629هـ) في رسالته التي فاضل فيها بين برِّ العُدوة وبرِّ الأندلس بمدينة قرطبة، أثناء تفضيله قرطبة والفخر بها أن " ملوكها كانوا يتواضعون لعلمائها، ويرفعون أقدارهم، ويصدرون عن آرائهم، وأنهم كانوا لا يقدمون وزيراً ولا مشاوراً ما لم يكن عالماً " (المقَّري، 2008).

وهذا الكلام بَيَّن أهم شرط لإشغال منصب في الدولة، وهو أن يكون عالماً؛ لأنهم باتوا مُسَلِّمينَ بمكانة العلم، وأهميته في إدارة شؤون البلاد والعباد.

وكان من أبرز علماء مدينة قرطبة ابن حزم الأندلسي (ت456هـ)، وابن حيّان القرطبي (ت469هـ)، وقد ذكر الأول في رسالته في فضل الأندلس أن " قرطبة مسقط رؤوسنا ومعقّ تمائمنا مع سُرَّ من رأى في إقليم واحد، فلنا من الفهم والذكاء ما اقتضاه إقليمنا... فكان أهلها من التمكن في علوم القراءات والروايات، وحفظ كثير من الفقه والبصر بالنحو أو الشعر واللغة، والخير والطب والحساب والنجوم" (المقَّري، 2008).

وتحدث أكثر من أديب ومؤرخ عن المكانة العظيمة لمدينة قرطبة، وذلك على صعيد أهلها، وعلى صعيد الأندلس، إذ وصفها الحِجاريّ (ت550هـ) بقوله:" كانت قرطبة في الدولة المروانية قبة الإسلام، ومجتمع أعلام الأنام، بها استقر سرير الخلافة المروانية، وفيها تمحضت خلاصة القبائل المعديّة واليمانيّة، وإليها كانت الرحلة في الرواية، إذ كانت مركز الكرماء، ومعدن العلماء، وهي من الأندلس بمنزلة الرأس من الجسد" (المقَّري، 2008).

ويبدو التفاخر في كلام الحِجاريّ من خلال جعل قرطبة بمنزلة الرأس، وشبه الأندلس بالجسد؛ لأنها فضلت المدن الأندلسية باحتضانها العلماء، وافتتاح دور العلم وتنوع مجالسه.

ولم تقتصر المفاخرة على مدينة الشاعر أو المؤرخ، بل امتدت إلى مدن أخرى، من ذلك ما كان في المفاخرة التي أجراها ابن الخطيب بين مدينتي مالقة وسلا، إذ أبرز الجانب العلمي لمالقة وذلك بعدد المؤلفات، التي لم يكن بالضرورة أصحابها من مدينة مالقة، لكن الفضل يعود لها؛ لأنها وفرت لهم البيئة العلمية المناسبة للتأليف والتصنيف في مجالات مختلفة، وقد جاء في كلامه " فاستشهد مغرب البيان، وتاريخ ابن حيان، وتاريخ الزمان، وكتاب ابن الفرضي، وابن بشكوال، وصلة ابن الزبير القاضي، ومن اشتملت عليه من الرجال، وصلة ابن الأبّار، وتاريخ ابن عسكر وما فيه من أخبار، وبادر بالإماطة عن وجه الإحاطة، ترى الأعلام سامية، وأدواح الفضلاء نامية، وأفراد الرجال يضيق بهم رحب المجال" (المقَّري، 2008).

ثانياً - مفاخرات الكرم وفضائل الأخلاق.

سطّر الشعراء على مرّ العصور الكثير من القصائد التي

تناولت كرم الطباع، وفضل الأخلاق عند القبائل والأقوام، ثم أخذوا مع الوقت يتحدثون عن فضائل المدن وكرمها، يقول ابن زيدون(ت463هـ):(ابن زيدون، 2005). **[الطويل]**

بقرْطُبَةَ الغرَّاءِ دارِ الأكارِمِ

بلادٌ بها شَقَّ الشَّبابُ تَمائِمِي

يعبّر ابن زيدون عن اعتزازه بقرطبة، وذلك للجود الذي ترفل فيه، والكرم الذي هو من طبع أهلها، فهو يدرك ذلك؛ لأنه نشأ وترعرع في جود هذه المدينة وفضل أهلها.

ويقول الإمام أبو محمد بن عبد الحق بن عطية في أهل قرطبة: (المقَّري، 2008). **[المنسرح]**

أستَوْدِعُ اللهَ أهلَ قرطبة

حيثُ عهدْتُ الحياءَ والكرما

والجامِعُ الأعظمُ العَتيقُ ولا

زالَ مدى الدَّهْرِ مأْمَناً حَرَما

يفخر الإمام أبو محمد بأهل قرطبة، لاتسامهم بمثل عليا كالحياء والكرم، وهي سمات محظوظ أهلها؛ لأنها تدل على لين الطبع وطيب المعشر.

ويفتخر الفقيه الزاهد أبو عبد الله المنصفي بقريته المنصف، ويعترف بكرم أهلها موظفاً الاستفهام الإنكاري للتعبير عن ذلك: (البلفيقي، 1989). **[السريع]**

قالتْ ليَ النَّفْسُ أتاكَ الرَّدَى

وأنتَ في بَحْرِ الخَطايا مُقِيم

فما ادْخَرْت الزَّادَ قلْت أقْصِرِي

هَلْ يُحْمَلُ الزَّادُ لدارِ الكريم

وقد افتخر الشَّقُنْدِي في رسالته بمدينة المريَّة، وذكر وجوه أهلها الصِّباح، وأخلاقهم الرفيعة، وطيب معاشرتهم، وتميزهم بالكرم والجود، إذ قال " وأمَّا المريَّة فإنها البلد المشهود الذكر، العظيم القدْر، الذي خصّ أهله باعتدال المزاج، ورونق الديباج، ورقة البشرة وحسن الوجوه والأخلاق، وكرم المعاشرة والصّحبة " (المقَّري، 2008).

وأشاد أبو بكر محمد بن شيرين السيني نزيل غرناطة، بكرم أهلها، وطيب معشرهم للضيف، وما يلاقيه النازلون بها من رعاية واهتمام، مما جعله يفاخر بها: (المقَّري، 2008). **[الطويل]**

رَعَى اللهُ من غَرْناطةَ مُتَبَوَّأ

يَسُرُّ حزيناً أو يُجيرُ طَريدا

تَبرَّم منها صاحِبِي عندما رأى

مسارحَها بالثلْجِ عُدْنَ جَليدا

هيَ الثَّغْرُ صانَ اللهُ مَنْ أهلَتْ به

وما خَيْرُ ثغْرٍ لا يكونُ بُرودا؟!

ثالثاً- مفاخرات التشييد والمظاهر الحضاريَّة.

كلّما ذكرت إسبانيا على ألسن المؤرخين والأدباء والمثقفين، قدح في الذهن سنا التراث العربيّ الإسلاميّ في تلك البقعة، ولا سيّما فن العمارة المتمثل في القصور والقلاع والحصون والمساجد، والزوايا، إذ شكل هذا الفن مادة دسمة للشعراء والأدباء والمؤرخين الذين استقوا منه جزءاً كبيراً في نتاجهم الأدبي، شعراً ونثراً.

تعد مدينة قرطبة من المدن الأندلسية التي تفاخر بها أصحابها، لما تكتنزه من مظاهر حضارية تتسم بالجمال والإبداع، إذ "يحكى أن العمارة في مباني قرطبة والزاهرة والزهراء، اتصلت إلى أن كان يُمشى فيها الضوء السُّرج المتصلة عشرة أميال" (المقَّري، 2008).

ولعل جامع قرطبة منارة في فن العمارة والتشييد، وقد وصف المقري ذلك بقوله " قد كسي ببردة الازدهاء، وجلي في معرض البهاء، كأن شرفاته فلول في سنان، أو أشر في أسنان، وكأنما ضربت عن سمائه كِلَل، أو خلعت على أرجائه حُلَل...وظهور القباب مؤللة، وبطونها مهللة، كأنها تيجان، رصع فيها ياقوت ومرجان، قد قُوس محرابها أحكم تقويس، ووشم بمثل ريش الطواويس" (المقَّري، 2008).

وقد فُصِّل القول في وصف هذا الجامع بكل أقسامه ومعالمه، ويشير ذلك إلى أنه مدعاة للفخر والاعتزاز لأهل هذه المدينة ولغيرهم، ولأن الغاية من هذا الجامع متعددة، دينية وحضارية وسياسية، أُنْفِق على إقامته أموالٌ طائلة، كي يخرج بأبهى حلة؛ لأنه قبلة الخلافة آنذاك، وقد عبّر دحية بن محمد البلوي عن إعجابه بهذا الجامع عندما قال: (المقَّري، 2008). **[البسيط]**

وأنْفَقَ في دينِ الإلهِ ووَجْهِهِ

ثمانينَ ألفاً مِنْ لُجَيْنٍ وعَسْجَدِ

توزَّعَها في مسجدِ أُسُّه التُّقَى

ومَنْهَجُه دينُ النَّبي محمدِ

تَرى الذَّهبَ الناريَّ فوقَ سموكِه

يَلوحُ كبَرْقِ العارِضِ المتوقِّدِ

وما يميز قرطبة أنها لم تكن منارة علم تستقطب الدارسين والعلماء فحسب، بل كان بها من المعالم ما يزيد من مكانتها وأهميتها، وقد سبقت الإشارة إلى قول أحد علماء الأندلس في مكانة قرطبة العلمية: (المقَّري، 2008) **[البسيط]**

بأربَعٍ فاقَتِ الأمْصارَ قُرْطُبَةٌ

فَهُنَّ قُنْطَرَةُ الوادِي وجامِعُها

هاتانِ ثِنْتانِ والزَّهْراءُ ثالثةٌ

والعِلْمُ أعْظَمُ شَيْءٍ وَهْوَ رابِعُها

فالجامع والقنطرة والزهراء، هي من المعالم الحضارية لهذه المدينة التي فاخر بها كل من سمع بذلك وزارها إلى يومنا هذا.

ويفاخر ابن الخطيب بالحضارة العمرانية والعلمية والثقافية التي تتميز بها غرناطة عن كثير من المدن الأندلسية والمشرقية، إذ اختزل المعاني الحضارية المختلفة في قول واحد: (المقَّري، 2008)**[مخلع البسيط]**

غَرناطةٌ ما لها نَظيرٌ

ما مِصْرُ ما الشَّامُ ما العِراقْ؟

وقد شبهت غرناطة بدمشق، لتشابه المباني والأسوار والحمامات والبساتين بينهما " وأما غرناطة فإنها دمشق بلاد الأندلس، ومسرح الأبصار، ومطمح الأنفس، لها القصبة، وقد اختصت بكون النهر يتوزع على ديارها وحماماتها، وأسواقها وأرحاها الداخلة والخارجة، وبساتينها "(المقَّري، 2008).

وامتدت المفاخرة بالمظاهر الحضارية إلى اللباس والعطور، والحلي والحلل المدبَّجة، وقد ذكرها ابن الخطيب أثناء حديثة عن مفاخرات مالقة وسلا " ولنقل في الحضارة بمقتضى الشواهد المختارة، ولا كالحلى والطيب، والحلل الديباجية والجلابيب، والبساتين ذات المرأى العجيب، والقصور المبتناة بسفوح الجبال، والجنات الوارفة الظلال، والبرك الناطقة بالعذب الزلال، والملابس المختالة في أفنان الجمال، والأعراس الدّالة على سعة الأحوال" (ابن الخطيب، 2003).

يحاول ابن الخطيب في هذا الحديث إبراز سمات القوة في مالقة، ومن جانب آخر أخذ يعدد سمات الضعف في سلا؛ لأن المفاخرة كانت بين المدينتين، ويعود من جديد للحديث عن الأبنية بقوله:" وأمّا العمارة فأين يذهب رائدها، وعلام يعول شاهدها، وما دار عليه السور متراكم متراكب، منتسجة مبانيه، كما تفعل العناكب، فناديقه كثيرة، ومساجده أثيرة، وأرباضه حافلة، وفي حلل الدوح رافلة، وسككه غاصّة، وأسواقه بالدكاكين متراصّة، أقسمُ لربض من أرباضها أعمر من مدينة سلا، وأبعد عن وجود الخلا، وأملأ مهما ذكر الملأ، بلد منخرق منقطع منفرق، ثلثه مقبرة خالية، وثلثه خِرَبٌ بالية، وبعضه أخصاص وأقفاص، ومعاطن وقلاص...وأما المساكن فحسبك ما بمالقة من قصور بيض" (ابن الخطيب، 2003).

يقارن ابن الخطيب بين أبنية مالقة وأبنية سلا، فيصف مباني مالقة بأنها متراصَّة محكمة الهندسة والتصميم، وكأنها بيوت عناكب، ومالقة كثيرة المنتجعات والفنادق، والمساجد والأسواق، وهذا يدل على أنها مقصودة، بها نزلاء كثر، منهم العلماء والتجار، ورجال الدين والمتسوّقون، في حين تفتقد سلا إلى هذه المظاهر التي تدل على تحضرها ورقيّها؛ لكنه اعترف بوجود نزر يسير من هذه المظاهر، ولا تشكل مدعاة للفخر" وأمّا سلا وإن كان بها للملك دور وقصور، ولأهل الخدمة بناء مشهور، فنهل قليل، وليس بالجمهور إليه سبيل"(ابن الخطيب، 2003).

ويفاخر الشَّقُنْدِي بمدينة إشبيلية في رسالته التي يدافع فيها عن برّ الأندلس، بقوله " وإذا تعرضت إلى ذكر البلاد وتفسير محاسنها، وما خصها الله تعالى به مما حرمها غيرها، فاسمع ما يميت الحسود كمداً: أما إشبيلية فمن محاسنها اعتدال الهواء، وحسن المباني، وتزيين الخارج والداخل، وتمكن التمصر، حتى إن العامّة تقول: لو طُلب لبن الطير في إشبيلية وُجد" (المقَّري، 2008).

ويفهم من كلامه أن إشبيلية كانت في مصاف المدن الأندلسية المتحضرة التي يحسدها الكثيرون لمكانتها، فأسواقها تضم كلَّ فريد وعجيب من الأشياء التي يعزّ وجودها في أسواق المدن الأخرى. وقد سئل أحد من زار مصر والشام عن أيّهما أفضل هذان المصران أم إشبيلية " فقال بعد تفضيل إشبيلية شرفها غابة بلا أسد، ونهرها نيل بلا تمساح" (المقَّري، 2008)، ويقصد من هذه العبارة أن إشبيلية ترفل بالأمن والنعم، وهي آمنة ومستقرة.

ومن المظاهر الحضارية التي يُفاخر بها في مدينة المرية. كثرة طرز الحرير، والحلل النفيسة والديباج الفاخر، وقصور الملوك القديمة العجيبة، وقيل إن بها من الحمامات والفنادق ما يفوق الألف، وكانت هذه المدينة تمتاز بميزات كثيرة عن مدن أخرى، إذ صنف ابن خاتمة الأنصاري كتاباً في ذلك بعنوان" فرية الحرية على غيرها من البلاد الأندلسية"، ويبدو أنه من المصنفات المفقودة التي لم يبنْ لها أثر إلى يومنا. (المقَّري، 2008).

وفي رسالة صفوان بن إدريس أبي البحر(ت568هـ) في تغاير مدن الأندلس، تتفاخر إشبيلية بمكانتها عندما تقول " لي السَّهم الأسدّ، والساعد الأشدّ...إن تبجحتم بأشرف اللبوس، فأيّ إزار اشتملتموه كشنتبوش، لي ما شئت من أبنية رحاب، وروض يستغني بنضرته عن السحاب" (المقَّري، 2008).

وتتحدث الرسالة عن سداد رأي أهلها، وشدة ساعدهم، وما يصنعون من الألبسة القشيبة بألوانها وطرزها، إضافة إلى الأبنية المترامية، والبساتين التي تدوم نضرتها وقتاً طويلاً.

ولفرط الشعراء بالمباهاة والمفاخرة بالمظاهر الحضارية للمدن، مالوا إلى تصويرها ورسمها بأجمل الصور وأدقها، من ذلك ما قاله ابن هذيل في مباني الزاهرة: (الكتاني، 1986). **[الطويل]**

قُصُورٌ إذا قامتْ ترى كلَّ قائمٍ

على الأَرْضِ يَسْتَخْذِي لها ثُمَّ يَخْشَعُ

ترى نورَها مِنْ كلِّ بابٍ كأنَّما
سَنا الشَّمْسِ مِنْ أبوابِها يَتَقَطَّعُ

وبنظرة فاحصة في هذين البيتين تُجليّ جمال التصوير فيهما، إذ جعل كل شيء على الأرض ينقاد إلى هذه المباني، ويخضع لها ثم يخشع، وذلك لعظمتها، ودقة هندستها التي يراها الشاعر آية في الجمال والإبداع، وشبه الأنوار المنبعثة من نوافذها بأشعة الشمس المسلَّطة على هذه القصور، ثم تكسرت بفعل الحواجز التي تفصل بين نوافذها.

ويصف الأسود الرَّابضة على برك المياه بقوله:(الكتاني، 1986). **[الطويل]**

كأنَّ الأُسُودَ العامِرِيَّةَ فوْقَها
تهمُّ بمَكْروهٍ إليكَ فتَفْزَعُ

كأنَّ خَريرَ الماءِ مِنْ لهَواتِها
تبدُّدُ درٍّ ذابَ لوْ يَتَجَمَّعُ

يقول الشاعر إن رؤية هذه الأسود تُفزع وترعب؛ لأنها متأهبة للانقضاض على فرائسها، وشبه الماء المندفع من أفواهها بالمعدن النفيس، وربما قصد بذلك الفضة الذائبة، ويرى أنها تتجمع في بركة؛ ليعاد تكوينها.

إن هذه التشبيهات ومثلها، لا يمكن لها أن تكون إلا عند إحساس الشاعر بالتباهي، والتفاخر بهذه المباني والقصور التي كانت آياتٍ في الحسن والإبداع.

رابعاً – مفاخرات المنعة والحصانة.

امتاز الكثير من المدن بالمنعة والحصانة في الأدب الأندلسي من خلال تشييد الأسوار المنيعة، والقلاع والحصون بسبب الظروف المتقلبة؛ والحروب الطاحنة التي كانت بين العرب والقشتاليين وإن تباعدت الفترات بينها. وأدت هذه المقومات دوراً بارزاً في الدفاع عن المدن، وصمودها أمام الهجمات المتوالية عليها، مما حدا بالشعراء والأدباء لأنْ يفتخروا ويشيدوا بهذه الحصانة، من ذلك ما قاله ابن حمديس(ت527هـ) في بلدة سرقوسة: (ابن حمديس، دت). **[الطويل]**

وأضْحَتْ لَهُمْ سَرْقُوسَةُ دارَ مِنْعَةٍ
يَزُورونَ بالدَيْرينَ فيها النَّواوِسا

ولو شُقِّقَتْ تلكَ القبورُ لأنْهَضَتْ
إليْهم من الأجْداثِ أُسْداً عوابسا

يبدو الحس الوطني في هذه الأبيات واضحاً عند ابن حمديس، ويعتبر أنّ كل ما في سرقوسة من إنسان أو جماد، هم جنود لمقارعة النورمانديين، ورأى أن الجثث في القبور ما هي إلا أسود كامنة لأعداء سرقوسة. وفي مفاخرات مالقة وسلا يبين ابن الخطيب، معايير القوة والمنعة في مدينة مالقة عندما يقول:" فأمَّا المنعة فلمالقة حرسها الله، فضل الارتفاع، ومزية الامتناع، أمّا قصبتها فاقتعدت الجبل كرسياً، ورفعها الله مكاناً عليّاً بعد أن ضوعفت أسوارها وأقوارها، وسما بسنام الجبل المبارك منارها، وقربت أبراجها، وصوعدت أدراجها، وحصنت أبوابها، وعزز جنابها، ودار ببلدها السور والجسور، والخندق المحفور" (ابن الخطيب، 2003).

يعدد ابن الخطيب سمات مدينة مالقة، التي جعلتها حصينة منيعة من السقوط، منها موقعها الناشز، وقصبتها التي جعلت الجبل كرسياً لها، أي أنها تتربَّع على القمَّة، وارتفاع الأسوار والجدران فيها. وبنيت منارتها على قمة الجبل المبارك الذي شبه قمته بسنام الجمل، إضافة إلى الأبراج التي تستخدم للحراسة، والجسور المختلفة في أحجامها، وكذلك الخندق الذي يطوق المدينة كالسّوار. وهذه المقومات جعلت ابن الخطيب يرى فيها مدينة حصينة تضاهي سلا في برِّ العدوة ومدناً أندلسية أُخرى.

ومن المدن التي ذكرها الأدباء والمؤرخون لمنعتها، المريَّة الواقعة بين جبلين " وعلى الجبل الواحد قصبتها المشهورة بالحصانة، وعلى الآخر ربضها، والسور محيط بالمدينة والرَّبض" (المقَّري، 2008).

ويلاحظ أن كثيراً من مقومات المَنعة في المدينة متشابهة، كالأسوار والأرباض، وما عدا ذلك، فالأمر متعلق بتضاريس المدينة، وثراء أهلها لإنشاء مقومات أخرى، كالقلاع والحصون، وكذلك الأمر عند بناء إشبيلية ضربت حولها أسوار من صخور صلدة، وبني وسطها قصبتان بديعتا الشأن، تعرفان بالأخوين، وقد جعلت إشبيلية أمّ قواعد الأندلس (ينظر: المقَّري، 2008)، ومن المدن الأندلسية التي تباهى بها الشعراء مدينة بُرْجَة التي قال فيها ابن شرف القيرواني: (المقَّري، 2008). **[مجزوء الكامل]**

حُطَّ الرِّحالَ ببُرْجَةٍ ... وارْتَدْ لنَفْسِكَ بَهْجَهْ
في قَلْعَةٍ كسِلاحِ ... ودَوْحَةٍ مثل لُجَّهْ
فحِصْنُها لكَ أمْنٌ ... ورَوْضُها لكَ فُرْجَهْ
كلُّ البِلادِ سِواها ... كعُمْرَةٍ وهْيَ حَجَّهْ

يبرز ابن شرف القيرواني في أبياته طبيعة مدينة برجة الخلابة، وهي تنعم بالأمن والاستقرار بفضل قلعتها وحصنها الذي ينافح عنها، وفي مفاخرته هذه يصور أن كل البلاد بفضائلها تعدل عمرة بينما برجة بفضائلها تعدل حجّة.

خامساً – المفاخرة في المزروعات والصَّنائع.

امتدت المفاخرة بين المدن الأندلسية إلى ما يزرعون

ويصنعون، وأخذ الأدباء والمؤرخون يقيدون ذلك شعراً ونثراً في دواوين ومصّنفات، ومن هذه المفاخر ما قاله أبو الحجاج يوسف بن الشيخ البَلوي المالقي(ت604هـ) واصفاً تين مالقة:(المقَّري، 2008). **[السّريع]**

مالَقَةَ حُيِّيْتَ يا تِيْنَها

الفُلْكُ مِنْ أجْلِكِ ياتِيْنَها

نَهَى طَبِيْبِي عَنْهُ في عِلَّتِي

ما لِطَبِيْبِي عَنْ حَياتِي نَهَى

يشيد البلوي بتين مالقة الذي اشتهر وضرب به المثل لطيبه ولذَّته وكثرته، ووظف الشاعر الجناس التام في كلمتَي)يا تينها/ ياتينها)؛ لإبراز المعنى وتوضيحه، وإثارة انتباه القارئ إلى ذلك، ولكثرته ترسو السفن لتصديره إلى الهند والصين، وفي هذا الكلام كناية عن كثرة ما يصدَّر من التين، وكناية عن جودته، لأن المسافة بين الأندلس وآسيا طويلة جداً، ولا سيّما مع وسائل النقل البطيئة في ذلك الوقت، فلولا جودته وتميزه لأصابه العفن من طول الطريق، وللذته لا يتوقف الشاعر وهو مريض عن تناوله على الرغم من وصايا الأطباء له بالامتناع عن تناوله.

وكذلك قول الإمام الخطيب أبي محمد عبد الوهاب المنشي: (المقَّري، 2008). **[السَّريع]**

وحِمْصُ لا تَنْسَ لَها تِيْنَها

واذْكُرْ مَعَ التِّيْنِ زَيَاتِيْنَها

وواضح للعيان أن المقصود بحمص – هنا- مدينة إشبيلية، وأراد الخطيب أن يضع زيتونها بمستوى تينها، وهو يذكرنا بقوله تعالى "**والتين والزيتون وطور سينين**" (سورة التين، 1–2)، ولعل هذا القول ردّ غير مباشر على السابق، يحمل في طياته فخر هذا الإمام بتين إشبيلية وزيتونها، وإن تين مالقة ليس الوحيد المشهور بالأندلس، بل تين إشبيلية وزيتونها أيضاً.

ويرى ابن سعيد أن الأندلس أسعد بلاد الله بكثرة الثمار وصنوفها، إذ لا يعدم منها إلا التمر، ولها من الفواكه ما يعدم في غيرها أو يقل " كالتين القوطي والتين الشعري...وهذان صنفان لم تر عيني ولم أذق لهما منذ خرجت من الأندلس ما يفضلهما، وكذلك التين المالقي والزبيب المنكبي والزبيب العسلي، والرمان السفري والخوخ والجوز واللوز" (المقَّري، 2008)، ومن الثمار النفيسة التي كان الأندلسيون يتباهون بها، التفاح الجلياني الذي كان يزرع في "حصن جِليانة، وهو كبير يضاهي المدن، وبه التفاح الجلياني الذي خصّ الله به ذلك الموضع، يجمع عظم الحجم، وكرم الجوهر وحلاوة الطعم، وذكاء الرائحة والنقاء" (المقَّري، 2008).

ولهذه الثمرة سمات جعلت أهل جِليانة يفتخرون بها، وهي حجم الثمرة الكبير، والطعم الحلو اللذيذ، وقوة رائحتها العبقة. ووصف الشعراء الأندلسيون هذه الثمرة وصفاً دقيقاً، منهم ابن زيدون (ت463هـ) الذي بعث هذه الأبيات إلى ابن جَهور (ت462هـ) مع هدية تفاح: (ابن زيدون، 2005). **[المتقارب]**

أتتْكَ بلَونِ المُحِبِّ الخجِل

تُخالِطُ لَوْنَ المُحِبّ الوَجِلْ

ثِمارٌ تَضَمَّنَ إدْراكَها

هواءٌ أحاطَ بها مُعتَدِلْ

تأتّى لإلطافِ تَدْرِيْجِها

فمِنْ حَرِّ شَمْسٍ إلى بَرْدِ ظِل

لها مَنْظَرٌ حَسَنٌ في العُيونِ

كدنْياكَ لكِنَّهُ مُنْتَقِلْ

وطَعْمٌ يَلَذُّ لِمَنْ ذاقَهُ

كَلَذَّةِ ذِكراكَ لوْ لمْ يُمَلْ

يُمَثِّلُ مَلْمَسُها للأكُ

فٌ لِينَ زَمانِكَ أوْ يَمْتَثِلْ

يرسم ابن زيدون لوحة فنية يبيّن فيها أسباب نضج هذه الثمرة، ولعل أهمّها الهواء اللطيف المعتدل، وحرارة الشمس، والبرد الخفيف الناجم عن الظلال الوارفة المحيطة بالثمرة، وهذه عوامل تساعد على صبغ لونها، أمّا منظرها فحسن وبهيج يشبه حياة ابن جهور، وشبه لذَّة طعمها بذكراه، وملمسها ليّن كالأيام التي كان فيها عيشه رغيداً، بينما لونها شكلَّ صورة جميلة، إذ جعل ابن زيدون حمرتها تشبه احمرار وجه المحبِّ الخجل، صاحب الحياء، واصفرارها بوجه الإنسان الخائف.

واشتهرت جيان أيضاً ببعض المزروعات، "ومما يعدّ في مفاخرها ما ببيّاسة إحدى بلاد أعمالها من الزعفران الذي يسفّر براً وبحراً، وما في أبدة من الكروم التي كاد العنب فيها لا يباع ولا يشترى كثرة " (المقَّري، 2008)، ولكثرة الزعفران كان يصدر قوافل في البّر، وعبر المراكب في البحر، ومن كثرة العنب كان يظن أن سوقه كاسدة لا يباع ولا يشترى، وهو دليل على اهتمام الفلاح الأندلسي بهذه الثمرة، وحجم سوقها الرائجة.

ومما يفاخر به الأندلسيون في أدبهم الحرف المختلفة التي تمثل صناعات خفيفة في وقتنا، ومهمة في ذلك الوقت. واعتبر ابن سعيد أن هناك مصنوعاتٍ في الأندلس ينتهي التفضيل إليها، وللمتعصبين لها كلام كثير، إذ "اختصت المريّة ومالقة ومرسية بالوشي المذهب الذي يتعجب من حسن صنعته أهل المشرق إذا رأوا منه شيئاً، وفي تنتالة من عمل مرسية تُعمل البسط التي يغالى في ثمنها بالمشرق، ويُصنع في غرناطة وبَسْطة من ثياب اللباس المحررة الصنفُ الذي يُعرف بالملبد المختم ذو الألوان العجيبة، ويُصنع في مرسية من الأسرّة

المرصّعة والحصر الفتانة وآلات الصُّفْر والحديد من السكاكين والأمقاص المذهبة... ويصنع بها وبالمريَّة ومالقة الزجاج الغريب العجيب، وفخار مزجّج مذهب، ويصنع بالأندلس نوع من المفصص المعروف في الشرق بالفسيفساء" (المقَّري، 2008).

وتميزت مدن الأندلس باستخراج الرّخام من باطن الجبال وتشكيله، وكان يفاخر به، خيث ذكر الرّازي " أن بجبل قرطبة مقاطع الرخام الأبيض الناصع، والخمري، وفي ناشِرَةَ مقطع عجيب للعمد، وبباغة من مملكة غرناطة مقاطع للرخام كثيرة غريبة موشاة في حمرة وصفرة...وحصى المرية يحمل إلى البلاد، فإنه كالدرِّ في رونقه، وله ألوان عجيبة، ومن عادتهم أن يضعوه في كيزان الماء" (المقَّري، 2008).

ولا شك أن الرُّخام في ذلك الوقت أدى دوراً رئيساً في بناء القصور، والمساجد والأعمدة، والطاقات والقباب والأقواس، لذا فإنه مثّل مظهراً من مظاهرة الحضارة العمرانية في الأندلس. واشتهرت المدن الأندلسية بمعادن تختص بها غالباً كل مدينة على حدا، دون انتفاء وجود ذلك المعدن في مدينة أخرى، فمثلاً الفضة اشتهرت بها غرناطة، والرّصاص اشتهرت به برجة، والملح الأندراني في سرقوسة، والتبر في أشبونة، وهي كورة من مالقة، والحديد في المرية. (ينظر: المقَّري، 2008)، وكذلك اشتهرت قرطبة بالفضة والزئبق، ومرسية بالبُسط والأسرّة المرصّعة. (ينظر: المقَّري، 2008).

وفي مفاخرات مالقة وسلا يفاخر ابن الخطيب بالصنائع التي كانت رائجة، ومتقدمة في هذه المدينة، وما ذلك إلا دليل على تحضرها ورقيها، ويرى أنّ أيَّ إنسان لا يستطيع أن ينكر طلوع الشمس " مالقة حرسها الله طراز الديباج المذهب، ومعدن صنائع الجلد المنتخب، ومذهب الفخار المجلوب منها إلى الأقطار، ومقصر المتاع المشدود، ومضرب الدست المضروب، وصنعاء صنائع الثياب، ومحجّ التجار إلى الإياب، لأفعام العياب، بشهادة الحسّ والجنّ والإنس، ولا ينكر طلوع الشمس" (ابن الخطيب، 2003).

يُعدّد ابن الخطيب الحِرف التي كانت في مالقة، ولا ينافسها ما في سلا، وهي تطريز الثياب المنقوشة بالذهب، وصناعة الجلود النّجار ودباغتها، والتفنن في نماذجها، وتبعاً لوظائفها، وكذلك صناعة كيزان الفخار والأواني، والتحف بأحجامها المختلفة، ويتحدث عن صناعة الغزل والنسيج، وأواني الأطعمة المصنوعة من الحديد الذي يبقى تحت مطرقة أمهر الحرفيين حتى يكتسب الشكل المناسب ويستوي على عوده. وقد أشار إلى أن مالقة مركز تجاريٌّ نشِط لما فيها من هذه الصناعات التي يعترف بفضلها الإنس والجن.

سادساً – مفاخرة الموقع وجمال البيئة.

على الرغم من الموقع الحيوي والاستراتيجي للأندلس المتمثل في أنّها إحدى البوابات الغربية لقارة أوروبا، وعلى الرغم من جمال الطبيعة في معظم مدنها، إلاَّ أنَّ التفاوت ظلّ قائماً بين هذه المدن من حيث ميزة الموقع، وميزة بيئته، الأمر الذي خلق تفاخراً بين الشعراء والأدباء، ودفعهم إلى التغني بهذه الميزات. من ذلك ما قاله ابن الخطيب في مفاخرة مالقة وسلا " فلنرجع إلى مزية البقعة فنقول: خصّ الله مالقة بما افترق في سواها، ونشر بها المحاسن التي طواها، إذ جمعت بين رمث الرمال، وخصب الجبال، وقامرة الفلاحة المخصوصة بالاعتداد، والبحر العديم الصداع، الميسرة مراسيه للحطِّ والإقلاع، والصيد العميم الانتفاع، جبالها لوز وتين، وسهلها قصور وبساتين، وبحرها حيتان مرتزقة في كل حين، ومزارعها المغلة عند اشتداد السِّنين" (ابن الخطيب، 2003).

يبيّن ابن الخطيب أهمية الموقع الجغرافي لمدينة مالقة من خلال معايير قوته، وهي الأرض الرملية التي تصلح للزراعة، والجبال الخصبة، والتربة الصالحة للفلاحة، وحرارة الطقس المعتدلة، ثم البحر وما فيه من المراكب المقلعة والغادية، وجبالها عامرة باللوز والتين، وسهولها معمورة بالقصور والبساتين. وقصده من هذا الحديث أن السبب في تقدم الزراعة، والحركة النشطة للمراكب هو الموقع الجغرافي الذي امتاز بالتربة الخصبة، والهواء المعتدل الذي يساعد على سهولة حركة المراكب من مالقة وإليها، وذلك بفضل وقوعها على الساحل.

ويكشف ابن الخطيب المزيد من أهمية موقع هذه المدينة بقوله " وإذا بان فضل البقعة فلنلم بذكر الشنعة، وهو مما لا يُحتمل فيه النزاع، ولا تُغطى الأبصار وتُطمس الأسماع، إذ مالقة دار الملك في الروم ومثوى المصاعب والقروم، تشهد بذلك كتب الفتح المعلوم، وذات ملك في الإسلام عديد الجيوش خانق الأعلام، غني بالشهرة عن الأعلام، سكنها ملوك الأدارسة الكرام، والصناهجة الأعلام، ثم بنو نصر أنصار الإسلام، جيشها اليوم مشهور الإقدام" (ابن الخطيب، 2003).

يتحدث ابن الخطيب عن المكانة التاريخية للمدينة، عندما يذكر الأقوام التي قطنتها، وما كان فيها من ملوك وجيوش، وأعلام مشهورين، تعاقبوا عليها على مر العصور؛ مما أكسبها موقعاً مميزاً بين المدن الأندلسية، ويعبر عن جمال هذه المدينة واستقرارها بقوله "والجنات التي ملأت السهل والجبل، وتجاوزت الأمل، بحيث لا أسد يمنع من الأصحار بالعشي والأسحار، ولا لص يستجن بسببه في الديار" (ابن الخطيب، 2003).

ومعنى هذا الكلام أن الغذاء والأمن هما من أسس استقرار

النفس البشرية، فالغابات تحولت إلى جنات، ولا وجود فيها لظاهرة اللصوصية بسبب العيش الرغيد في هذه المدينة، وهي ظاهرة تجعل الناس يمكثون في البيوت فتراتٍ طويلة خوفاً على ممتلكاتهم، واستعان الأديب بالسجع والجناس ليثير انتباه السامع إلى أهمية ذلك.

أمَّا بلنسية فيقول فيها ابن الزَّقَّاق البلنسي(ت529هـ:((ابن الزقاق، 1964). **[المتقارب]**

كأنَّ بلنْسِيَةً كاعِبٌ
ومَلْبَسُها السُّنْدُسُ الأخْضَرُ
إذا جِئْتَها سَتَرَتْ وَجْهَها
بأكْمامِها فَهْيَ لا تَظْهَرُ

يشبه الشاعر بلنسية بالفتاة الكاعب الحسناء التي ترتدي الأثواب القشيبة المطرزة بالحرير النفيس، وهو كناية على أنها حلة خضراء لكثرة بساتينها وجناتها، إذ تسترت بهذه الجنان لحيائها وخجلها، وقال أيضاً: (الحموي، 1995). **[المتقارب]**

بلَنْسِيَةٌ جَنَّةٌ عالِيَة
ظِلالُ القُطوفِ بها دانِيَةْ
عيونُ الرَّحِيْقِ مَعَ السَّلْسَبي
لِ وَعَيْنُ الحَياةِ بِها جارِيَةْ

يبدو ابن الزقاق متأثراً بالقرآن الكريم عندما شبهها بالجنة العالية ذات القطوف المتدلية والجنى الداني، وقد ضمن أبياته معنى قول الله تعالى " **وجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ، لِسَعيْهَا راضِيَة، في جَنَّةٍ عَالِيَة، لا تَسْمَعُ فِيْهَا لاغِيَة، فِيْها عَيْنٌ جَارِيَة**" (الغاشية، 8–12)، وكذلك معنى قوله تعالى " **فَهوَ فِي عِيْشَةٍ راضِيَةٍ، في جَنَّةٍ عَالِيَةٍ، قُطوفها دانِية**" (الحاقة، 21–23).

ومن شعره في بلنسية أيضاً: (ابن الزقاق، 1964). **[الوافر]**

بلنْسِيَة إذا فَكَّرتَ فيْها
وفيْ آياتِها أسْنى البِلادِ
وأعظم شاهِدِي مِنْها عَلَيْها
بأنَّ جَمَالَها للْعَيْنِ بادِ
كَساها ربُّنا دِيباجَ حُسْنٍ
لَهُ عَلَمانِ مِنْ بَحْرٍ ووادِ

وفي رسالة أبي البحر في تغاير مدن الأندلس جاء على لسان بلنسية في إظهار فخرها بنفسها " وإلام التعريض والتصريح؟ وتحت الرغوة اللبن الصريح، أنا أحوزه من دونكم، فأخمدوا نارَيْ تحرككم وهدونكم، فلي المحاسن الشامخة الأعلام، والجنات التي تلقي إليها الآفاق يد الاستسلام، وبرصافتي وجسري أعارض مدينة السلام، فأجمعوا على الانقياد لي والسلام، وإلا فَعَضُّوا بناناً، واقرعوا أسناناً " (المقَّري، 2008).

يظهر النص مباهاة مدينة بلنسية على نظيراتها من المدن، لما فيها من مقومات الفخر كالجنات، والرّصافة والجسر، وقد ضمنّ النص بالمثل العربي " **تحت الرَّغوة اللَّبن الصَّريح**" (العسكري، دت)، وتأثر النصُّ أيضاً بقول علي بن الجَهْم(ت249هـ:((ابن الجهم، 1980). **[الطويل]**

عُيونُ المَها بَينَ الرّصافَةِ والجِسْرِ
جَلَبْنَ الهوى مِنْ حَيْثُ أدرِي ولا أدْرِي

وتغنى ابن اللُّبَّانة الدّاني(ت507هـ) وتفاخر بمدينة ميورقة، حيث جمال جنانها، وسحر مياهها الأخّاذ التي شبه صفاءها بصفاء الخمور، والساحات على جانبيه بالكؤوس. وشبهها أيضاً بطير له طوق حمامة وريش طاووس، دلالة على جمال هذا البلد، وتنوع بساتينه وألوان زهرها: (المقَّري، 2008). **[الكامل]**

بَلدٌ أَعارَتْهُ الحَمامَةُ طَوْقَهَا
وَكَساهُ حُلَّةَ رِيْشه الطاووسُ
فكأنَّما الأنْهارُ فيه مُدامَة
وكأنَّ ساحاتِ الدِّيارِ كُؤُوسُ

وله أشعار في ناصر الدولة صاحب ميورقة: (ابن دحية، 2008). **[الكامل]**

وَعَمَرْتَ بالإحْسانِ أُفْقَ مَيُورقة
وبَنَيْتَ فيها ما بَنَى الإسْكَنْدرُ
فكأنَّها بغْدادُ أنْتَ رشِيدُها
ووَزيرُها – وله السَّلامَةُ - جَعفرُ

يفاخر ابن الشاعر بما قام به ناصر الدولة على صعيد عمارة المدينة، وإكسابها أهمية وموقعاً متميزاً بين المدن، وقد جعله متفوقاً في البناء على ما بناه الإسكندر المقدوني، إذ أصبحت ميورقة تزهو بمكانتها التي تشبه بغداد، وجعل ناصر الدولة خليفتها هارون الرشيد، وقد جمع ابن شرف القيرواني(ت460هـ) بين بهجة مدينة برجة، وجمال طبيعتها، ومنعتها: (المقَّري، 2008). **[المتقارب]**

رِياضٌ تعشّقَها سُنْدُسٌ
تَوَشّتْ مَعاطِفُها بالزَّهْرْ
مَدامِعُها فَوقَ خَدَّي ربَىً
لها نَضْرَةٌ فتنَتْ مَنْ نَظَرْ
وكُلُّ مَكانٍ بها جَنَّةٌ
وكُلُّ طريقٍ إليْها سَقَر

وإلى جانب البساتين المزهرة، والجنات المثمرة فيها، فهي تتسم بالمنعة والقوة أمام أيّ غازٍ يهمّ بغزوها والسيطرة عليها. ويصف ابن سفر(ت434هـ) متباهياً نهرَ إشبيلية وهو في حالة المدِّ والجزر بقوله: (ابن الأبار، 1986). **[الكامل]**

شَقَّ النَّسِيمُ عَلَيهِ جَيْبَ قَمَيْصِه
فانْسابَ مِنْ شَطَّيْه يَطْلُبُ ثارَه
وتَضاحَكَتْ وُرْقُ الحَمامِ بأيْكِها
هُزْءاً فَضَمَّ مِنَ الحَياءِ إزارَه

شبه الشاعر حركة المدِّ بشق القميص، وقد ابتسم الوُرْق لهذا المشهد، فجاءت حركة المدّ حياء من ذلك، مع أن المدَّ والجزر هو للبحر، أما في النهر فيكون بصورة أضعف.

أمّا ما جاء على لسان مدينة مرسية في رسالة أبي البحر في تغاير مدن الأندلس، فيعطيها تميزاً في مكانتها وموقعها " أمامي تتعاطون الفخر، وبحضرة الدرِّ تتفقون الصَّخر؟ إنْ عدت المفاخر، فلي منها الأول والآخر، أين أوشالكم من بحري، وخرزكم من لؤلؤ نحري، وجعجعتكم من نفثات سحري؟ فلي الروض النضير، والمرأى الذي ماله من نظير، وزنقاتي التي سار مثلها في الآفاق، وتبرقع وجه جمالها بغرة الإصفاق...فأبنائي فيها في الجنة الدنيويَّة مودعون، يتنعمون فيما يأخذون ويدعون، ولهم فيها ما تشتهي أنفسهم، ولهم فيها ما يدعون، فانقادوا لأمري، وحاذروا اصطلاء جمري" (المقَّري، 2008).

يوضح النص السمات التي تمتاز بها هذه المدينة، إذ جعلها مفخرة تفوق المدن الأخرى، وإنَّ هذا التنوع من المفاخر في النص يكسبها فضلاً وتميزاً للبقعة التي هي عليها، فهي بلد الدرِّ والأحجار الكريمة، وبلد الرّياض والجنان الساحرة، وأهلها يتمتعون بما عندهم من خيرات ونعم، وكأنَّ مرسية الجنة، وقد تأثر صاحب النصُّ تأثراً واضحاً بالقرآن الكريم.

الخاتمة

حاول الشعراء والأدباء من خلال أقوالهم إبراز المزايا المتعددة للمدينة؛ لأنها تشكل القيم الجمالية والحضارية والفكرية التي عبرت قوة تلك المدن التي استحقت المفاخرة والمباهاة بها، وذلك للدور الذي أدته في شتى مجالات الحياة الإنسانية.

وكانت المفاخرة على نطاق ليس بالضيّق بين الشعراء والأدباء، إذْ ظهرت بين الأقاليم المتباعدة، ثم أصبحت بين المدن الأندلسية في مظاهر متعددة، وقد وصل الأمر إلى التنافس في ذلك بين أبناء المدينة الواحدة.

وخلص البحث إلى أن الشعر الذي فاخر به الأندلسيون بمدنهم يسري في عروقهم، ونابع من حبِّهم لها، واعتزازهم بها، وأن هذا الشعر لم يأتِ في قصائد مطوّلة، وإنما تناثر في تضاعيف الموضوعات الشعرية المختلفة، في حين أن المفاخرة في النثر جليّة بعنواناتها، من ذلك، مفاخرات سلا ومالقة للسان الدين بن الخطيب(ت776هـ)، ورسالة الشَّقُنْدِي(ت629هـ) التي فاضل فيها بين برِّ العدوة وبرِّ الأندلس، ورسالة ابن حزم(ت731هـ) في فضائل الأندلس، ورسالة صفوان ابن إدريس (ت598هـ) في تغاير مدن الأندلس.

لقد كان لتغاير المدن في الأدب الأندلسي، وكثرة علمائها، ووفرة نتاجهم إسهامات بارزة في استقطاب الوافدين إليها من الأندلس وخارجها، وفي بروز اسم المدينة وتفوّقها على أقرانها من المدن.

ولوحظ أنَّ أدب المفاضلة لم يكن نابعاً من باب التناحر والتشاحن بين الأدباء بقدر مايعبّر عن فنٍّ أدبيٍّ رائق، أُعجب به الكثيرون، فأصبح له شعراؤه ومحبُّوه.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم، سورة الغاشية 8–12، سورة الحاقة 21–23.

ابن الأبَّار، م (1986)، تحفة القادم، تحقيق إحسان عباس،ط1، بيروت، دارالغرب الإسلامي، ص147.

ابن الأبَّار، م (2008)، التكملة لكتاب الصلة، تعليق جلال السيوطي،ط1، بيروت، دارالكتب العلمية، 11/3.

الإدريسي، م (1989)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط1، بيروت، عالم الكتب، 514/2، 556، 597، 569، 574، 570.

امرؤالقيس، ح (2008)، الديوان، تحقيق درويش جويدي، ط1، بيروت، المكتبةالعصرية، ص 47، 54.

ابن بسّام، ع (1998)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق سالم مصطفى البدري، ط1، بيروت، دارالكتب العلمية، 4/4، 7/4–8، 8/4، 8/4، 8/4، 8/4، 20/4.

البلفيقي، م (1989)، المقتضب من كتاب تحفة القادم، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط3، القاهرة، دارالكتاب المصري، ص117.

الثعالبي،ع (2000)، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق مفيد قميحة، ط1، بيروت، دارالكتب العلمية، 114/2

ابن الجهم،ع (1980)، الديوان، تحقيق خليل مردم بك، ط2، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ص 252.

ابن حمديس،ع (دت)، الديوان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دارصادر، ص 276، 553.

الحَموي، ش(1991)، معجم الأدباء، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 173/1.

الحَموي، ش(1995)، معجم البلدان، ط2، بيروت، دار صادر، 195/1، 447/1، 490/1، 195/2، 72/3، 212/3، 214/3، 309/3، 367/3، 367/3، 30/4، 195/4، 324/4، 43/5، 107/5، 119/5، 491/1، 491/1.

الحَميدي، م (2004)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، شرح

صلاح الدين الهواري، ط1، بيروت، المكتبة العصرية، ص 358.
الحِميري، م (1980)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط2، بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، ص 58، 93، 97، 133، 183، 269، 318، 337، 337، 349، 346، 75، 347، 391، 393، 45، 456، 517، 539، 537.
ابن خاقان، م (1983)، مطمح الأنفس ومسرح التأنس، تحقيق محمد علي شوابكة، ط1، بيروت، دار عمار ومؤسسة الرسالة، ص313.
ابن الخطيب، م(2003)، خطرة الطيف، تحقيق أحمد مختار العبادي، ط1، بيروت، دار السويد للنشر والتوزيع، أبوظبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص63، 61، 61، 63، 58، 59، 59، 59، 60، 62.
ابن الخطيب، م (2002)، معيار الاختيارفي ذكر المعاهد والديار، تحقيق محمد كمال شبانة، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ص130، 113، 87.
ابن دِحية، ع (2008)، المطرب من أشعار أهل المغرب، شرح صلاح الدين الهواري، ط1، بيروت، المكتبة العصرية، ص156.
الزّبيدي، م (دت)، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، ط2، القاهرة، دار المعارف، ص256، 256، 256، 275.
ابن الزّقاق، ع (1964)، الديوان، تحقيق عفيفة محمود ديراني، بيروت، دار الثقافة، ص139.
ابن زيدون، أ (2005)، الديوان، دراسةعبدالله سنده، ط1، بيروت، دارالمعرفة، ص33، 282.
ابن سعيد، ع (1973)، رايات المبرزين وغايات المميزين، تحقيق النعمان عبدالمتعال القاضي، القاهرة، لجنة إحياء التراث، ص107.
ابن سعيد، ع (1997)، المغرب في حلى المغرب، تحقيق خليل المنصور، ط1، بيروت، دارالكتب العلمية، 37/1-38.
السيوطي،ج (2004)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق علي محمد عمر، ط1، القاهرة، مكتبة الخانجي، 440/1.
ابن شهيد، أ (2010)، رسالة التوابع والزوابع، تحقيق بطرس البستاني، ط3، بيروت، دار صادر، ص124.
الضَّبِّي، أ (1997)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، ص198.
ابن عسكر، م، وابن خميس، م (1999)، أعلام مالقة، تحقيق عبد الله المرابط الترغي، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ص213.
العسكري،ح (دت)، جمهرة الأمثال، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، ط2، بيروت، دار الجيل، 270/1.
ابن الفرضي، ع(2006)، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهواري، ط1، بيروت، المكتبة العصرية، 256/1.
الفيروزآبادي، م (2001)، البلغة في تاريخ أئمة اللغة، ضبط وتعليق بركات يوسف هبّود، ط1، بيروت، المكتبة العصرية، ص33.
القالي، أ (1987)، الأمالي، مراجعة لجنة إحياء التراث العربي، ط2، بيروت، دار الآفاق الجديدة ودار الجيل، 1/1.
ابن الكتاني، م (1986)، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق إحسان عباس، ط3، بيروت، دار الشروق، ص77، 78.
المراكشي، ع (2006)، المُعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرح صلاح الدين الهواري، ط1، بيروت، المكتبة العصرية، ص267.
المقّري، ش(2008)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، ط5، بيروت، دار صادر، 5/3، 70/3، 73/3، 70/3-71، 71/3، 72/3، 75/3، 72/3، 71/3-72، 77/3، 95/3، 95/3، 209/1، 205/1، 616/1، 216/3، 154/1، 155/1، 214/3، 163/3، 153/1، 616/1، 219/3، 177/1، 216/3، 552/1، 561/1، 616/1، 148/1، 217/3، 212/3، 157/1، 163/1، 171/1، 163/1، 157/1، 151/1، 151/1، 151/1، 200/1، 3/1،217/149، 201/1، 201/1، 148/1-162، 200/1-201، 174/1، 169/1، 151/1، 173/1.
ابن منظور، م (2004)، لسان العرب، ط3، بيروت، دار صادر، مادة خرق.

Bragging Between Cities in The Andalusian Literature "Objective Study"

*Ammar A.Shibli**

ABSTRACT

This research dealt with the phenomenon of boast of Andalusian cities in Arabic literature. The research consisted of three sections and a conclusion. The first section dealt with a description of famous Andalusian cities, the second discussed a number of literary debates between intellectuals from the Levant and the Maghreb including Andalusia. The third section is about features of boast. The Methodology employed in the study was the inductive analytical because of its compatible with the research goals.

Keywords: phenomenon, Andalusian cities, Andalusian Debates.

* Department of Arabic Language Bir Zeit University, Palestine. Received on 12/4/2016 and Accepted for Publication on 28/10/2016.